جدلية الوعي والعالم في فلسفة يوهان غوتليب فيخته

كريم حسين كريم
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

مقدمة

لقد غيرت الفلسفة الحديثة طريقة نظر الحضارة الغربية للعالم، بعد أن كانت محددة بالنظرات والتصورات الدينية واللاهوتية التي سادت أوربا في القرون الوسطى لاسيما في إطار الإشكالية القديمة، ونعني بها علاقة الوعي بالعالم* أو ما يطلق عليه علاقة الفكر بالواقع.

يقول هيدغر عن عصر الفلسفة الحديثة إنها بدأت ((في اللحظة التي تحرر فيها الإنسان ليعود إلى ذاته من حيث هو ذلك الكائن الذي يتمثل برده كل الأشياء إلى ذاته كحكم أعلى))[1]، أي إن فهم العالم أو الواقع اصبح يبدأ من الإنسان بوصفه شيئا مفكرا أو وعيا ذاتيا. لقد ازدهرت هذه النزعة في التأمل أو التفكير نتيجة لانهيار الأنموذج الارشادي (Paradigm) ** القروسطوي في التفكير وبروز ما أطلق عليه النزعة الإنسانية (Humanism)*** الساعية إلى هيمنة الإنسان على الطبيعة والعالم.

لقد كان من أهم العوامل التي جعلت العصر الحديث مختلفا عن العصر الوسيط هو ((تقلص الكنيسة وازدياد سلطة العلم))[2]، وهذا ما أدى إلى تحرير الإنسان من ثقل التاريخ والتراث واللاهوت وبروز سيطرته الذاتية والفردية[3] التي ستتأسس عليها طريقة وجوده وحقيقته. إن جميع النظم الفلسفية في الفترة الحديثة في كل سماتها تمثل أو تعبر عن ممارسة ذاتية متنوعة لأفعال التوحيد، أي التوحيد بين الوعي والعالم بوساطة مبدأ التطابق بين العقل والعالم وهو ما يعد غاية الحداثة الأوربية. فالإنسان في العصر الحديث اصبح متصورا للعالم ومتمثلا له وليس متسائلا عنه، متصورا لموجوداته كموضوعات قائمة أمام ذاته، إنها الذات المفكرة عند ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة ((وصاحب الروح المقدامة الذي جعل من الذات الأساس المقوم والبداية الجديدة لكل فلسفة جديدة تريد أن تتأسس))[4] على حد تعبير الفيلسوف الألماني هيغل. آما سبينورا فقد عد الذاتية جوهرا يتصف بالفكر والامتداد، فالعقل والجسم شئ واحد وليسا شيئان مختلفان كما هما عند ديكارت، فالعقل ينظر إليه من خلال صفة الفكر، أما الجسم فينظر إليه من خلال صفة الامتداد. أما الفيلسوف الألماني لايبنتز فقد عد الذات موناد (Monad)**** واحداً

متميزاً عن الجسد، إلا إن نشاطه لايتم إلا عبر الجسد في العالم وفق قانون الانسجام الأزلي بين النفس والجسد. وتختلف نظرة الفيلسوف امانوئيل كانط للذات فقد عدها المثالية المتعالية أو الجانب القبلي للمعرفة حيث ((انتظام الموضوعات وفقا لقوام قدرتنا الحسية))[٥]، لذا فقد عدها بالثورة الكوبرنيكية، إذ أصبحت الذات مصدر الوعي والمعرفة بالأشياء وليس العكس كما كان قائما إبان الميتافيزيقا القديمة.

بعد هذا العرض السريع لموقف الفلاسفة من الذات نحاول التعرف على فلسفة فيخته ونظرته للذات والعالم إذ إن هذا الفيلسوف كان ينظر لفلسفته في نطاق فلسفات الذاتية المنبثقة من روح العصر الحديث الذي ساد المشروع الثقافي الغربي بعد فترة ليست بالقصيرة من هيمنة المناخ اللاهوتي والاستبداد الكنسي على التفكير الفلسفي. وسنحاول الوقوف في بحثنا هذا على موقف فيخته من الفلسفات الذاتية لا سيما فلسفة كانط التي انبثق من رحمها، وكذلك فكرته عن الوعي والعالم فضلا عن مركزه في تاريخ الفلسفة الغربية.

لقد أطلق فيخته اسم نظرية العلم على فلسفته الساعية إلى إدراك جدلية العلاقة بين الوعي والعالم – وتعد جوهر فلسفته– و تقوم على وحدة العلاقة بين العلم والعمل أو الضرورة والحرية على حد تعبير كانط، وإخراج الذات من كونها نشاطاً تفكيرياً ونظرياً كما هي الحال عند ديكارت إلى مجال عملي بوصفها وجوداً يقع في العالم وتمارس فيه نشاطاتها المصيرية. وكذلك تقوض فلسفته التمييز الكانطي الذي يقيمه بين العقل النظري والعقل العملي بجعل الأولوية للعقل العملي. وهذا ما سنتطرق إليه في ثنايا بحثنا.

أولا: جذور فلسفة فيخته

يعرف يوهان جوتليب فيخته (١٧٦٢–١٨١٤) كداعية سياسية ومفكر قومي اكثر مما يعرف به كونه فيلسوفا له إسهام كبير في فهم إشكالية العلاقة بين الوعي والعالم، ولذا سنعرض أفكار هذا الفيلسوف لاسيما في كتابه الشهير (علم المعرفة) التي يعرض فيها آليات عمل الوعي ومراحله الجدلية في تكوين الوعي الذاتي.

تعد فلسفة فيخته وتصنف ضمن الفلسفات المثالية الذاتية، ولكن هناك مسألة ينبغي ملاحظتها، وهي انه لايصح إخضاع نظرية المعرفة الخاصة به ضمن الاتجاهات المعرفية ذات الصبغة التصورية[*****]، ذلك لأن المثالية الفيختية تستند إلى مبدأ فعل الوضع – الذي سنبينه لاحقا – حيث سيكون كل ماضي العالم هو من خلق الذات وإبداع لها. إذن فلا وجود لعالم مستقل عن الذات كما هو عند الواقعيين التقليدين، ولا وجود لذات

بدون عالم تعمل فيه، وهو ما أطلق عليه فيخته (علم المعرفة) الذي يجمع بين النظر والعمل حيث لايوجد تمييز بينهما، لأنهما من مصدر واحد وهو الذات المطلقة، هذا من جهة طبيعة المعرفة وكيفية فهمها من قبل فيخته، أما من جهة فلسفة كانط فإنها كانت مصدر الهام وتأسيس لفلسفة فيخته بعد أن وجه سهام نقده لها.

لقد انتقد فيخته كما أسلفنا فلسفة كانط القائمة على التمييز بين (عالم الظاهرة وعالم الشيء في ذاته)، وكذلك التمييز بين (العقل النظري و العقل العملي) إذ قدم صيغة يمكن أن نفهم بها القيمة النفعية والعملية للعقل المحض بوصفها طبيعة اختزالية لوضع الأنا المطلق، لكي يقوض التمييزات التي وضعها كانط.

و ينتقد فيخته الوعي الذاتي عند كانط لأنه لايعي ذاته إلا بمصاحبة تمثلاته[٦]، وهذا ما لايتطابق مع بنية الوعي الذاتي عنده،ذلك لان الوعي الذاتي عنده قائم بذاته ((وهو الشيء في ذاته))، وينشط بحرية دون أن يحد إرادته شيئ ما، وهو المبدأ الأساسي الأول غير المشروط للمعرفة البشرية.

ثانيا: المبدأ الأساسي (الأنا المطلق)

يتضح مما تقدم إن فيخته قد قدم صيغة معدلة للمثالية يمكن تسميتها (المثالية الواقعية)، إذ حررت الذات من عزلتها والعالم من استقلاليته عن الذات، فالذات لايمكن لها الانعزال عن العالم طالما كان العالم هو الموقع الذي تضع به ذاتها، وهذا كان بالتأكيد نقدا مباشرا ولاذعا للاتجاهات المثالية والواقعية التقليدية.

لقد كان لفيخته إسهام كبير في تطوير وتوسيع فلسفة الوعي (فلسفة الذات) أو كما أطلق عليها نظرية العلم، وذلك من خلال طرحه مبدأ جديدا في فهم الوعي الذاتي وهو مبدأ (الأنا المطلقة) المبدأ الذي يتوحد فيه العلم والعمل والضرورة والحرية، الذي ظهر جليا في كتابه المهم (نظرية العلم لسنة ١٨٠١).

لقد سعى فيخته في فلسفته إلى تأسيس المبدأ الأساسي الأول وغير المشروط للمعرفة البشرية، القائم بذاته ولايحتاج إلى برهان، وقد أطلق على هذا المبدأ (الأنا المطلق).

إن الأنا المطلق هو الوعي الذاتي، وهو فعل ذاتي يغير أحوال الذات ويجعل منها كائنا آخر بعد أن يتخطى ذاته القديمة وذلك بفعل ما تتوفر له من حرية وهو مبدأ العقل وغايته. إن هذا التغيير ليس تغييرا في الأحوال الخارجية للكائن بل تغييرا في جوهره، يقول فيخته ((تأمل في ذاتك، وابعد نظرك عن كل ما حولك هذا هو الشرط الأول الذي

تشترطه الفلسفة على معتنقيها. إن الأمر لا يتصل بأمر خارج عنك، وإنما يتعلق بك أنت))[٧].

يتضح مما تقدم إن العقل عند فيخته ليس مبدأ نظريا وتصوريا، إنما هو مبدأ الحرية وهو من أعمال الإرادة البشرية، فضلا عن كونه تصميماً ذاتياً. ومن الجدير بالذكر إن التفكيرالفلسفي الألماني حول التقدم الإنساني ((كان يقوم على أعمال العقل بوصفه مبدءاً للحرية (الأخلاق)، إن التقدم يسير إلى الأمام ومن المفيد جدا إن يستند إلى العقل))[٨]، وتتميز فكرة الحرية عند فيخته بأنها ليست مبدأ خارجيا تفرض على الذات الإنسانية، و إنما هي مطلب عقلي ينبع من داخل الذات وأنها أول ماتظهر ((في فرد أو مجموعة من الأفراد الموهوبين))[٩].

إن المبدأ الأساسي أو ألانا المطلق هو فعالية الوعي الذاتي، فهو لا ينفعل بالعالم الخارجي وهو ليس نتاج التجربة. إن ألانا المطلق لا ينفعل بالمعطيات التجريبية لوعينا، فهو لا ينفعل، إذ انه أساس كل وعي، وهذا مايجعل الوعي الذاتي ممكنا، فضلا عن ذلك فإننا إذا استخدمنا الممارسات النظرية والعقلية المجردة سوف لا نستطيع أن نجعل من فعل ألانا واقعة تجريبية من وقائع الوعي، إلا إننا نستطيع أن ندرك ((أن هذا الفعل يجب بالضرورة أن نفكر فيه على انه أساس كل وعي)).

لقد ذكرنا أن فيخته يفهم فعل ألانا بأنه فعل عقلي قائم على العقل العملي الكانطي و قد ((استوحى فكرة مبدئه الأول من القانون الأخلاقي ، لقد رأى أن الالتزام الأخلاقي هو القضية الأساسية التي يمكن بها إثبات الوجود ،حتى يجوز لنا أن نستعمل عبارة مشهورة بالصورة الآتية للتعبير عن موقفه: إن علي واجبا ، فأنا إذن موجود))[١١].

وعلى ما يبدو إن نقطة انطلاق فيخته تبدأ من العقل العملي وليس العقل النظري، وان المبدأ الأساس (ألانا المطلق) يبدأ بوضع ذاته أي يتمظهر في العالم، فالوعي الذاتي عنده أو الأنا المطلق ليس منعزلا عن العالم ولا يكون إلا إذا انكشف فيه أي تخارج عن ذاته، وإن عملية التخارج والتموضع في العالم الذي تضعه الذات هي جوهر علم المعرفة التي وضعها فيخته والهادفة إلى ((تغطية الهوة الماثلة في فلسفة كانط بين عالم الظاهر من ناحية و العالم الروحي (عالم الشيء في ذاته) الذي يكشف عنه التأمل في التجربة الأخلاقية))[١٢].

إن المبدأ الأساس عند فيخته يقوم على أن أي قضية فلسفية ينبغي أن تكون مثالية وواقعية في آن واحد. ويفرق فيخته بين ألانا بوصفها فردا، وألانا بوصفها وعيا ذاتيا، فألانا الفردية تتعين من خلال سماتها البيولوجية، على حين أن ألانا المطلقة – أي المبدأ الأساس – تتحدد بفعل الذات والنشاطات الشعورية، وهي العلة التي تنتهي إليها جميع المعارف، وكذلك هي (الشيء في ذاته) الذي لا يمكن أن يبرهن عليه.

أن المبدأ الأساس ((بالنسبة للفلسفة مبدأ فكري (للمعرفة) و واقعي (للفعل في العالم) في وقت معا)) [١٣]، وهو مصدر لكل حقيقة وأساس لكل معرفة صادقة.

ثالثا: جدلية الوعي: المراحل الثلاث للشعور الذاتي

يعتقد فيخته أن هناك ثلاث مراحل أساسية يتخطى به المبدأ الأساس (ألانا المطلق) ذاته كي يتخارج عنها من اجل تحقيق الوجود الأصيل، وهذه المراحل الثلاثة هي (الوضع والمقابلة والتوحيد)[******]. وسنقف عند كل مرحلة من هذه المراحل لتوضيحها.

١. الوضع :ألانا يضع وجوده

يمثل الوضع أو فعل الوضع المرحلة الأولى من مراحل الإدراك البشري، وهو الأول والأساس الذي يجعل الوعي ممكنا، ويبدأ هذا الوعي من فعالية التأمل ((فالتأمل هو الوسيلة للوصول إلى حقيقة الوعي، وللقيام بهذه الفعالية علينا أن نبدأ من قضية يسلم بها الجميع ولا يعارضها، وعند تجريدها نصل إلى اقصر طريق لتحقيق هدفنا))[١٤]، والقضية هي إن الأنا تضع ذاتها، وهذا هو الجوهر الأساس لعمل الأنا المطلقة.

وكما أسلفنا سابقا إن الأنا المطلق لايمكن أن يبرهن عليه، انه الأساس لكل تجربة، ولايمكن الوصول إليه إلا بالتأمل في حقيقة الوعي وتجريده من كل ما لا يرتبط به ارتباطا ضروريا، إنه الشرط الأساسي لعلم المعرفة عند فيخته ويسمى أيضا بمبدأ الهوية، وهو إحد مرتكزات علم المنطق، وعن طريق هذا العلم نستطيع التفكير في فعل الوضع الذي يمثل الفعل العقلي والأساسي للانا المطلق، وكذلك هو القاعدة الضرورية للمعرفة.

يقول فيخته ((إن الواقعة البسيطة من وقائع الشعور التي يدركها التأمل هي قضية(أ=أ) وهي قضية يقينية وواضحة لكل إدراك، ولكن لابمعنى إن القضية (أ) موجودة إنما نقول فقط إذا وضعنا (أ) فقد وضعناها، ووضعها ليس ضروريا. فإذا جردنا من (أ) ما ليس ضروريا فلا يبقى إلا صورة لوضع، أي الارتباط الضروري وهو: إذا وضعنا (أ) فقد وضعناها))[١٥]. أما إذا كانت القضية (أ=أ) ليست صادقة ((فلن يصبح أي حكم ممكنا،

فالقضية (أ=أ) لاتكون صادقة إلا بشرط أن تكون القضية أنا= أنا (أنا هو أنا)، ومعنى ذلك إن القضية أنا موجود هي الشرط الأساسي لكل حكم))[١٦]، وان حكم الأنا يقوم على مبدأ أنا هو أنا، لا على مبدأ وجود الموضوع إنما على مبدأ فعل الوضع، فألانا يضع ذاته أولا، أي يضع فاعليته قبل كل شئ.

إن فعل الوضع يمثل الجانب التأملي والنظري للمبدأ الأساس أو ألانا المطلق، إذ إن الفعل يرتد على ذاته أي الارتداد إلى المركز ((إلا إن الاتجاه إلى المركز لايتم إلا إذا افترضنا أيضا اتجاه إلى الخارج، وهذا الفعل المتجه إلى الخارج هو القوة الباطنة الخالصة المؤلفة لكل موضوع))[١٧]، وهذا ما سينقلنا إلى المرحلة الثانية من مراحل جدلية الوعي عند فيخته إلا وهي مرحلة المقابلة.

٢. المقابلة: الأنا يضع اللا–أنا

لقد وجدنا مما تقدم إن المبدأ الأساس أو الأنا عند فيخته لايتأسس على أسس نظرية وإنما على أسس عملية، إن عملية الوعي الذاتي تكمن في وعي الأنا بوصفها ذات فاعلة وليست مفكرة كما هي الحال عند ديكارت. فالأنا عند فيخته نظرية ولأجل أن تكون عملية فهي تقدم اللاأنا لأجل أن تعمل فيها وتتخطى حدودها الذاتية.

إن اللاأنا هي العالم، عالم الأنا المطلق انه عالمها الخاص بها وان هذا العالم لامعنى له إلا بوجود المبدأ الأساس. انه يوجد (أي العالم) لكي يتخارج الإنسان عن ذاته ويموضعها فيه، وان هذه التموضعات تمثل (القيم، القوانين، المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية)، ((فالأنا نشاط ذاتي في نظام الطبيعة (العالم) فعل اصلي للشعور. والعالم الخارجي هو اللا–أنا، حدود الأنا، ومن هنا هذا التقابل بين الأنا واللاأنا ومن مقاومة الأنا للاأنا ينشأ الأنا المطلق))[١٨].

تتسم مرحلة المقابلة بنفس سمات الأنا المطلق من حيث البداهة والإطلاق، ويطلق عليها تسمية نقيض الموضوع، وهي أساس لكل الأحكام المتناقضة، وكذلك يستنبط منها مبدأ التناقض والنفي ((فالموضوع لايوجد إلا على أساس عقل خارجه ... إن المبدأ الأول أو فعل الوضع هو فعل متجه نحو المركز وبذلك لاتدرك المعطيات الخارجية، إذن فلا بد من فعل آخر يجعل الموضوعات قابلة للإدراك وهو فعل الأنا لغيره، إن إدراك العالم يتطلب إدراك الأنا واللا– أنا معا))[١٩].

إذن الموضوع لايوضع إلا أمام ذات تقابله، فإذا كانت الأنا تضع نفسها بنفسها ومن اجلها، أو بتعبير آخر فعل متجه إلى الداخل، فإنها بالتأكيد تختلف عن الفعل المتجه، ((فالمبدأ الأول لايمكن وحده إدراك معطيات الشعور الواقعي، ذلك لأنه لايمكن استنباطه من الشعور الخالص، ولهذا فلابد من القول بفعل آخر غير فعل الوضع (أي وضع الأنا لنفسه) وهذا الفعل هو وضع الأنا لغيره))[٢٠] أي اللا–أنا.

وهكذا نجد انه لايمكن تأكيد الأنا لذاتها بمعزل عن اللا–أنا، فاللا–أنا أو العالم مشروط بالأنا وبدونها لا تحقق فعالية علم المعرفة. فالأنا تضع اللا–أنا لأجل إمكان وجود الموضوعات، أي إمكان وجود عالم موضوع تمارس فيه الذات فعلها بوصفها وجود متخارج في العالم.

٣. التوحيد: وحدة الأنا واللا–أنا

إن المرحلة الثالثة من مراحل جدلية الوعي عند فيخته، أي إشكالية العلاقة بين الأنا واللا–أنا تؤكد على وحدة العلاقة بين ألانا واللا–أنا، ذلك لان الوعي لا يشير إلى الوعي الذاتي حسب، بل كذلك إلى الموضوع أو العالم أو اللا–أنا التي تقابل ذلك الوعي فالأنا التي تمثل الوعي الذاتي عند فيخته ((لاتشعر بوجودها إلا إذا حددتها (اللا–أنا)، واللا–أنا لاتتعين أو تثبت إلا إذا حددتها (بالأنا) وبتحديد كل من منهما للآخر تنتج الطبيعة بأسرها))[٢١].

إن مبدأ التوحيد هو مصدر كل الأحكام المركبة، ويستنبط منه وحدة الذات والموضوع، أي الوعي والعالم، وينتج عنه مقولة التحديد، كذلك فانه يمكن البرهنة عليه ((لأنه ليس كمقولة المقابلة مشروطا بمحتواه الفلسفي، إنما فقط مشروط بصورته، وكذلك فهو مشروط بشكله من خلال شرطين هما الأنا واللا–أنا))[٢٢]. إن الوعي عند فيخته هو ذلك النشاط الديناميكي ما بين الأنا واللا–أنا، الذي يتم بواسطته تحديد إدراك الذات والعالم بشكل متفاعل وهو جوهر مبدأ التوحيد.

وبناءا على ما تقدم يمكننا القول إن جدليات الوعي عند فيخته تبدأ من مقولة الوضع حيث تضع الذات ذاتها لكي تعيها وعيا ذاتيا بواسطة الانعكاس عليها بالتأمل أو التفكير، ثم يأتي دور التقابل أو "مقولة المقابلة" وهو فعل الذات أو الأنا الخارجي لكي تضع مقابلها، ونعني به اللا–أنا أو الموضوع أو العالم الذي تتخارج فيه الذات لتموضع

أفعالها، في حين تقوم المرحلة الثالثة لهذه الجدلية بالتوحيد بين الأنا واللا–أنا لتكون مقولة التحديد.

لقد وصف نيقولا برديائيف ذاتية فيخته الموحدة بين الوعي والعالم بأنها حلولية أخلاقية فهو ((يريد تحويل العالم (...) ولكن ليس هناك إلا عالم واحد هو ذاك الذي يضعه الأنا الكلي))[٢٣].

إن التوحيد بين الأنا واللا–أنا يعني أن الوعي الذاتي لم يعد حبيس الذات والتأمل، طالما إن هناك عالم يشكل قوام ذلك الوعي، فالعالم الذي نحيا فيه بالنسبة لفيخته ليس مادة للتأمل والتصور النظري بل هو فضاء للعقل والعمل والممارسة للذات الحرة، أي انه انتقال من الضرورة إلى الحرية.

والجدير بالذكر أيضا إن فعل الأنا في العالم أو اللا–أنا ينتج القيم والنظم العقلية والخلقية والسياسية والاقتصادية وهو ما يناظر الروح الموضوعي عند هيغل ويسمى علم المعرفة العملي عند فيخته، كذلك فان اللا–أنا تحدد الأنا وتنتج عنها الطبيعة بكليتها كما تظهر لأنفسنا وتسمى علم المعرفة النظري عنده. إن الأنا العملي هي المصدر الواقعي للوعي، في حين إن الأنا النظري هي المصدر المثالي للوعي، الذي يستند إلى حرية الإرادة بوصفها ضرورة عقلية.

الخـاتمـة

تعد نظرية العلم أو علم المعرفة عند فيخته من أهم إبداعات المثالية الألمانية في عصر التنوير، ذلك العصر الذي سعى إلى التطابق بين العقل والعالم، عن طريق الفعل والعمل وليس عن طريق التصور والتأمل، وعلى الرغم من ذيوع صيت فيخته السياسي الذي أدى إلى حجب دوره كفيلسوف مبدع، ألا إن الجانب النظري من فلسفته ظل ساطعا في سماء التفكير الفلسفي، حتى إن الفيلسوف البريطاني برتراند رسل قد اعتبرها (أي الجانب النظري من فلسفته) من أهم أجزاء فلسفته[٢٤]. ويمكن القول إن فلسفة الذاتية المنبثقة من تقاليد الفلسفة الألمانية قد كشفت عن ممكنات متنوعة وثرية لفهم الذات وماهيتها خارج هيمنة الفهم الديكارتي لها، وهذا ما ظهر جليا عند فيخته حيث يخرج الذاتية أو فلسفة الوعي من انغلاقها بوصفها ملكة فكرية ونظرية إلى العقل والعمل بوصفها حرية ووجود في العالم.

إن فلسفة فيخته هي فلسفة للعقل بقدر ما هي فلسفة للنظر وهذا ما يميزها عن فلسفات من سبقها، كذلك تعد تطورا نوعيا في طريقة التفكير الفلسفي، وتخطيا لمعظم الأطر والمحددات الفكرية واللاهوتية التي قيدت الفكر الفلسفي.

لقد استطاعت فلسفة فيخته أن تكون عاملا مؤثرا في تطور فلسفات الفلاسفة لاسيما شيلنغ وهيغل، وكذلك المذهب المثالي إذ نقله من ميدان التأمل المغلق إلى ميدان الفعل العملي في عالم التجربة والواجب. إن الأنا المطلقة أو الوعي الذاتي هي جوهر وأساس نظرية العلم عند فيخته، إذ تنطلق الذات الإنسانية لتكوين المعرفة المستندة إلى مقولة الضرورة والحرية معا فليس هناك فاصل أو هوة بين الوعي والعالم.

إن علم المعرفة الفيختي يقوم على وحدة العلم والعمل، وهي بذلك تعد من أهم إسهامات الفكر الفلسفي التي تناولت إشكالية العلاقة بين الوعي والعالم.

المصادر والهوامش

* برزت إشكالية العلاقة بين الوعي والعالم مع ظهور الفلسفة اليونانية التي كانت تمثل المرحلة الأولى من مراحل التفكير الفلسفي، إذ هيمنت مسألة وجود العالم وأصله على هذا التفكير بوصفه كلية الموجودات ونظامه وهذا ما ظهر جليا عند اغلب الفلاسفة الإغريق لاسيما فلاسفة ما قبل سقراط وأفلاطون وأرسطو وكذلك المرحلة الهلنتية. أما في مرحلة التفكير الفلسفي في العصر الوسيط فنجد إن الدين المسيحي قد هيمن على التفكير الفلسفي، إذ ظهر ما يسمى باللاهوت وعد الإنسان مخلوقاً خلقه الله ويتلقى حقائق الأشياء والعالم منه، وكذلك فان كلية الموجودات (العالم) مخلوقة من عدم وليس من مادة سابقة كما هو عند اليونان. فضلا عن ذلك نجد ان الدين أو اللاهوت هو الذي يشكل الوعي الإنساني لفهم العالم، إما المرحلة الحديثة فتعد من أهم مراحل التفكير الفلسفي في المشروع الثقافي الغربي إذ عهد للإنسان مهمة التفكير الذاتي لفهم حقائق الأشياء في إطار ثنائية الذات / الموضوع، حيث أصبحت الذات على حد تعبير ديكارت شيئا مفكرا (Res cogitans). والموضوع شيئا معتدا (Res extensa) وللمزيد حول الموضوع مراجعة كتاب

Bertrand Russell: History of western philosophy, London, 1946, p. 547.

١. نقلا عن د. سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٠، ص ١٠.

** الأنموذج الارشادي (Paradigm) مجموعة القواعد والتصورات والقيم التي تنظم فكر عصر ما. فالعصر الوسيط على سبيل المثال كان يستند إلى النصوص الدينية واللاهوتية كأنموذج مرجعي لفهم العالم.

*** النزعة الإنسانية (Humanism) الاتجاه الفلسفي الذي ساد المشروع الثقافي الغربي في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ يتمحور هذا الاتجاه حول الذات الإنسانية بوصفها عقلاً أو إرادةً أو تمثلاً (Representation) لتحقيق معرفة أو يقين ذات أبعاد كونية وكلية بصدد العالم أو الطبيعة.

٢. د. محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء، القاهرة، ط١،١٩٩٨، ص ١٢٧-١٣٠.

٣. للمزيد مراجعة كتاب مارتن هيدغر: التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٥، ص ١٥٨-١٥٩.

4. Hegel: History of Philosophy, Trans. By E. S. Haldane, vol. 3, routleged and kegan, second impression, London, 1955, pp.220-221.

**** المونـاد (Monad) كمـا يعرفـه لايبنتـز ((جـوهر بسـيط يـدخل فـي المركبـات، وبالبسيط نعني ما هو بدون أجزاء)). وهي ذات طبيعة روحية مغلقة من الداخل. للمزيد يراجع كتاب د.جورج طعمة، فلسفة لايبنتز مع تعريب المونادولوجيا ونصوص اخرى، دمشق، مكتبة أطلس، ط٢، ١٩٦٥، ص ١٠٧.

٥. كانط: نقد العقل المحض، ت : موسى وهبة، بيروت، مركز الإنماء القومي، ط ١، ١٩٩٠، ص ٣٤.

***** لقد كانت طبيعة المعرفة في الفلسفات التقليدية تتأسس على أساس ثنائية (المثالية/ الواقعية) فالمثالية ترد كل الوجود إلى الفكر وذلك بما يمتلكه ذلك الفكر من طبائع فطرية كما هي الحال عند ديكارت، أو قوالب قبلية كما هي الحال عند كانط لفهم العالم. أما الواقعية فهي ذلك الاتجاه الذي يعتقد بوجود عالم خارجي منفصل عن الذات وان معرفتها مستمدة من هذا العالم كما هي الحال عند لوك وهيوم، وتتميز هذه الثنائية (المثالية/ الواقعية) بالسمة التصورية والنظرية اكثر مما هي ذات سمات عملية كما هي الحال عند فيخته.

٦. للمزيد يراجع كتاب جان لاكروا: كانط والكانطية، ترجمة: نسيب عبيد، بيروت، المنشورات العربية، بلا تاريخ، ص ٤٣ وكذلك كتاب كانط: نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، ص ٢٠٨.

7. Fichte (G): Science of knowledge, Trans. A.Wallace, M. corp. U.S.A, 1970, p61.

8. J.B.Bury: The Idea of Progress, Dover pub. Ny., first published, 1955, p 251.

٩. اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، الكتاب السادس، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ١٩٨٨، ص ١٤١.

١٠. هنري ايكن: عصر الايدلوجية، ترجمة: محي الدين صبحي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص ٤٢,

١١. د.عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج ٢، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٨٦،ص ١٣٩.

١٢. ريتشارد شاخت: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٠، ص ٧٦.

١٣. ديديه جوليا: فيخت، ترجمة: حسيب نمر، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٠، ص ٢٠.

****** تسمى هذه المراحل الثلاثة بالأطروحة (Thesis) ونقيضها (Antithesis) والمركب منها (Synthesis)، الذي اعتقد البعض إنها من أفكار هيغل، وفي الحقيقة ان المراحل الثلاثة عند فيخته تختلف اختلافا جذريا عن جدلية هيغل سواء كانت في المقدمات أو النتائج. لقد أطلق مؤرخ الفلسفة هارولد هوفدنج على الجدل الفيختي تسمية ((منهج التناقض)) ويقول ((لأجل أن نفهم منهج فيخته ونتائجه ينبغي علينا أن نتذكر إن المبدأ الثاني لايمكن أبدا اشتقاقه من المبدأ الأول، ومن هذا المنطلق نجد اختلاف منهج التناقض الفيختي عن جدلية هيغل)) للمزيد يراجع كتاب

Harold Hoffding: A History of Modern Philosophy, trans. By B.E.Meyer, vol.2, N.Y.1950,the humanities press.

14. Fichte: Science of Knowledge, P. 94.

15. Fichte: Ibid., P.93.

16. Ibid., P.94.

17. Ibid., P.94.

١٨. د.حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة، الدار الفنية، ط١، ١٩٩١، ص ٣٣٧-٣٣٨.

19. Fichte: Science of Knowledge, p 94.

وكذلك يراجع كتاب فيخته: غاية الإنسان، ترجمة: فوفية حسين، القاهرة، مطبعة مخيمر، ط١١، ١٩٦٣، ص ٤٠ وما بعدها.

20. Ibid., P.120.

٢١. فخته: غاية الانسان، ص ٨٦ وكذلك ينظر كتاب هيغل: موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة د.امام عبد الفتاح امام، ج ١، بيروت، دار التنوير، ط١، ١٩٨٣، ص ١٨٦-١٨٧.

22. Fichte: Ibid., P.93.

٢٣. نقلا عن جورج طرابيشي من كتاب معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط ١، ١٩٨٧، ص ٤٤٦-٤٤٧.

٢٤. برتراند رسل: حكمة الغرب، ترجمة د.فؤاد زكريا، ج ٢، الكويت، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٧٠، وللمزيد عن حياة فيخته الفلسفية والسياسية مراجعة كتاب فرانكلين باومر: الفكر الأوربي الحديث، ترجمة: د.احمد حمدي محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٨٩، ص ٤٠-٤١.